تحقيق التوحيد في باب التداوي

جمع وترتيب : أبي عبد الرحمن

محمد بن عبد الله يسير

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

myhasse@hotmail.com

nasraim@yahoo.fr

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي يتساءلون بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ (النساء:١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ (الأحزاب:٧٠-٧١).

وبعد فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اضطرب الناس اليوم في الأسباب وغلوا فيها إفراطا أو تفريطا، وعلى مقتضى القاعدة التي تقول: "كل من اعتقد سببا لم يدل عليه شرع ولا قدر فهو شرك أصغر وإن اعتقده الفاعل بذاته فهو شرك أكبر"، والقاعدة التي تقول: "إنكار الأسباب بالكلية قدح في الشرع والاعتماد عليها بالكلية شرك أكبر والأخذ بها مع التوكل على الله هو دين الإسلام"، وحيث كان التداوي من الأسباب، ومن القضاء والقدر، وحيث كان التداوي منه الكوني والشرعي، كان لا بد من بيان حقيقة التداوي، وبيان كيفية تحقيق التوحيد فيه، وخاصة أنه من مقتضيات التوكل على الله ويكتنفه الشرك بأنواعه، ولذلك لم يترك الشرع هذا الباب الخطير لفهوم الناس واجتهاداتهم بل ضبطه وبينه وأحكمه، لأنه كما تقدم باب عظيم من أبواب توحيد الربوبية

والألوهية، ومن القضاء والقدر، وباب التداوي هو صميم العقيدة وتكتنفه عبادات يستخرجها الله من عباده ويحصل بها الابتلاء الذي يجري عليه الأجر والثواب، والوحي ضبط هذا الباب وأحكمه بنصوص صريحة صحيحة منها حديث (ما أَنْزَلَ اللَّهُ داءً إِلَّا أَنْزَلَ له شِفاءً) (أخرجه البخاري (٥٦٧٨)) وحديث (ما أنزل اللهُ عز وجل مِنْ داءٍ إلا أنزل معه شفاءً ، وقال عفانٌ مرةً : إلا أنزل له شفاءً عِلِمه مَنْ علِمه وجهِله مَنْ جهِله) (أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٦٨٦٣) أوله في أثناء حديث، وابن ماجه (٣٤٣٨) مختصراً، وأحمد (٤٣٣٤) واللفظ له.) حتى لا يسترزق به وفيه تجار الصحة والدجالون وحتى لا يتعلق العباد بالأسباب وبالمخلوقات، ومن تعلق قلبه بغير الله وكله الله لما تعلق به فعذب به ولا بد ، ومن تعلق بغير ربه فقد حكم على نفسه بالحرمان وختمها بالخذلان، وأصل مادة الشر في العالم هي من تعلق المخلوق بغير خالقه، وتأله قلبه لغير إلهه الحق، فما دخل القلب شرك بالله إلا من باب التعلق، فليعتن الموحد اللبيب الناصح لنفسه غاية العناية بحراسة هذا الباب وحراسة قلبه.

(فصل)

لقد أكرمَنا الله سبحانه وتعالى بدين شامل كامل بيَّن لنا فيه كل شيء ووضح لنا فيه كل أمر، وجاءت شريعة الله سبحانه وتعالى تبياناً لكل شيء وتفصيلاً لكل الأحكام والقضايا.

ولم يترك الله سبحانه وتعالى لنا شيئاً إلا وضحه خير توضيح وبينه كل بيان، يقول الله تبارك وتعالى ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩] فشيء نكرة في سياق الاثبات الأصل أنها تدل على الاطلاق لا العموم، وهي هنا تدل على العموم لأنها في سياق الامتنان كما أن كل هي أقوى صيغ العموم أصلا ووضعا، ولفظة "كل" بمادتها نص في العموم، ويقول سبحانه ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٢] وشيء أيضا نكرة في سياق الاثبات والامتنان قال سبحانه: ﴿وجَعَلْنا اللَّيْلَ والنَّهارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنا آيَةَ

اللَّيْلِ وجَعَلْنا آيَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِن رَبِّكم ولِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ والحِسابَ وكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء: ١٢] فتعم كل شيء حتى التداوي وتفصيله وجاءت صيغة "كل" لتؤكد هذا المعنى. ويقول سبحانه ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وشيء نكرة في سياق النفي، تفيد العموم، و بدخول "من" في النفي يكون العموم نصا لا يقبل التخصيص، ودونها ظاهرا ، والانتقال من الظهور إلى النص تأكيد تأسيس وتقوية مجردة لتأكيد استغراق الجنس.

وإن رسولنا صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى أنزل الله سبحانه وتعالى عليه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. فالدين تام كامل وعام شامل ليس فيه نقص ولا خلل وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يترك شيئاً من الدين فيسكت عنه أو يذهل فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم:(إنه ما من نبي قبلي إلا وأعلم أمته خير ما يعلمه لهم وأنذرهم شر ما يعلمه لهم) [صحيح مسلم] ويقول عليه الصلاة والسلام (تركتكم على المحجة البيضاء ليها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) [رواه ابن ماجه عن العرباض بن سارية] .

فتبين من هذه النصوص أن الله عز وجل الشافي، العليم الحكيم لم يكن ليترك مسألة التداوي للمخلوقات وللأسباب والتي لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا . وإن الدين ليس مقصوراً على العبادات فقط وإنما هو دين كامل فيه العبادات والمعاملات والعقائد والأحكام والسياسة والاقتصاد والسيرة والأخلاق والتداوي وكل شيء موجود في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(فصل)

فإن تنازع الناس في التداوي من حيث حكمه ونوعه وأسبابه وأثره فليعلم أنه قد دلت الشريعة على وجوب رد الأمر المتنازع فيه إلى الكتاب والسنة لمعرفة الحق فيه، فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ سورة النساء [آية:٥٩] .

والكلام عليها من وجوه :

– الأول : قوله ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ ﴾ هذا شرط وقوله ﴿ فِي شَيْءٍ ﴾ نكرة وقد تقرر في الأصول أن النكرة في سياق الشرط تعم ، فهذا يقضي بأن أي مسألة تنازعنا فيها فإننا مأمورون بردها إلى الكتاب والسنة ، ومن أخرج مسألة من المسائل وقال لا نردها للكتاب والسنة ، فقد أخرجنا من هذا العموم بلا دليل ، وقد تقرر في القواعد أن الأصل هو البقاء على العموم حتى يرد الناقل .

– الثاني : في قوله ﴿ فَرُدُّوهُ ﴾ فإن هذا صيغة أمرٍ ، وقد تقرر في الأصول أن الأمر المطلق عن القرائن يفيد الوجوب إلا بقرينة صارفة ، ولا قرينة هنا ، فالواجب هو البقاء على الأصل وفي ذلك دليل على وجوب هذا الرد ، فليس هو أمراً اختيارياً إن شئت فرد ، وإن شئت فلا ترد ، فإن هذا هو محض الهوى ، والعياذ بالله ، والله أعلم .

– الثالث : قوله ﴿ إِنْ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾ فعلق الإيمان بهذا الرد ، وقد تقرر في القواعد أن كل فعل نفى الله الإيمان عن فاعله فلحرمته ، وكل فعل نفي الله الإيمان عن تاركه فلوجوبه ، فدل ذلك على أنه لا يتحقق كمال الإيمان الواجب إلا بهذا الرد ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ سورة النساء [آية : ٦٥] .

فقضية رد الأمور المتنازع فيها إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قضية فاصلة بين المؤمنين والمنافقين ، فإن المنافقين لا يريدون التحاكم إلى الله ورسوله ، وإن زعموا أنهم آمنوا بما أنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل من قبله ، وإنما هم يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت ، كما قال تعالى فاضحاً مقاصدهم ، ومظهراً خفايا نفوسهم ، وخبث ما انطوت عليه قلوبهم ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ سورة النساء [الآيتان : ٦٠،٦١] .

فحقيقة الإيمان هو في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ . وحقيقة النفاق هي في قوله ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ .

فأي الفريقين أحب إليك ؟ فإن الله هو الغني الحميد ، ونحن الفقراء إليه جل وعلا ، فلما ثبت وجوب الرد إلى الكتاب والسنة علمنا يقيناً أن فيها الأمر الفاصل فيما تنازعنا فيه ، والله أعلم .

والمقصود أن مسألة التداوي من هذه المسائل التي يجب أن ترد للكتاب والسنة حتى يعرف حكم الله فيها .

– الرابع : في قوله تعالى ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾. فهذا فيه إخبار بأن هذا الرد هو الخير كل الخير ، والسلامة كل السلامة ، وهو أحسن عاقبة ، وهذا أمر محسوس مجرب ، فإن الضلال إنما هو في اتباع السبل المعوجة المخالفة للصراط المستقيم ، والمنهج القويم .

وهذه المسألة التي نحن بصدد الكلام عليها إن كنا نريد الخير وحسن العاقبة فيها ، فلنردها للكتاب والسنة .

وفقنا الله وإياك لكل خير ، وجعل عواقبنا آيلة إلى خير ونسأله جل وعلا أن يبصرنا بالحق ، ويوفقنا لاتباعه ، إنه خير مسئول وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والله أعلم .

وقد أجمع العلماء – رحمهم الله تعالى – على أن الرد لله هو الرد لكتابه ، وأن الرد للرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد إليه نفسه في حياته ، والرد إلى سنته الصحيحة بعد مماته ، والله أعلم .

(فصل)

تعريف التداوي في اللغة : مصدر تداوي, ومنه داويت العليل إذا عالجته بالأشفية التي توافقه ([لسان العرب٤/٤٥٥,مختار الصحاح ١/٩٠ , تاج العروس ٣٨/٧]).

والدواء: هو مصدر داويته مداواة ودِواءً ([تاج العروس ٣٨/٧٤]).

التداوي اصطلاحاً: طلب المعالجة إذا عرض الداء ([عون المعبود ١٠/٢٣٩.])، ومنه التداوي: تعاطي الدواء, والمداوة: أي المعالجة ([الموسوعة الفقهية الكويتية ١٢/١٣٥]).

التداوي في اللغة : مصدر تداوى أي تعاطى الدواء وهو مأخوذ من داواه عالجه (معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/٣٠٩) وجمع الدواء: أدوية. وهو: « اسم لما استعمل لقصد إزالة المرض والألم» (الكليات لأبي البقاء الكفوي ٢/٣٣٩) ويطلق على المرض الداء، وهو مصدر من داء الرجل يداوى، وفي لغة: دوى يدوى دوى. وجمع الداء: أدواء. وهو : « علة تحصل بغلبة بعض الأخلاط على بعض » (التعريف للجرجاني ١٣٨) . يقال فلان (تداوى) بالشيء تعالج به وأصله دوي يدوي دوى أي مرض،

وأدوى فلانا يدويه بمعنى أمرضه، وبمعنى عالجه أيضا، فهي من الأضداد، ويداوى: أي يعالج، والدواء: ما داويته به (الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦ /٢٣٤٣))

التداوي في الاصطلاح : لا يخرج المعنى الاصطلاحي للتداوي عند الفقهاء عن المعنى اللغوي كماتدل على ذلك عباراتهم.

التداوي: تناول الدواء وهو استعمال ما يكون به شفاء المرض بإذن الله تعالى من عقار أو رقية أو علاج طبيعي (معجم لغة الفقهاء(ص: ١٢٦))

وعرف أيضا: بأنه تعاطي الدواء بقصد معالجة المرض أو الوقاية منه (الموسوعة الطبية الفقهية/ ص١٩٣ /)

وتداوى على وزن تَفَاعَلَ هي صيغة الفعل الثلاثي المزيد بحرفين هي التاء في أوله والألف بين الفاء والعين (بين الحرف الأول والثاني). يفيد الفعل في هذه الصيغة معاني:

أولها المشاركة بين اثنين فأكثر في المعنى واللفظ أو في المعنى فقط، ومنها التظاهر ومعناه الادعاء بالإتصاف بالفعل مع انتفائه عنه أي إظهار غير الحقيقة ، ومنها الدلالة على التدرج أي حدوث الفعل شيئاً فشيئاً، ومنها المطاوعة وهي الاستجابة، ومنها المبالغة والتكثير.

وأما في الشرع فإن معنى التداوي أعم بكثير وأشمل، فهو مركب من شيئين: جانب شرعي وهو الأصل وجانب كوني وهو الفرع، وفي الحديث (فَهَل عندَكَ شيءٌ تداويهِ فرقَيتُهُ بفاتحةِ الكتابِ فبَرأ فأعطَوني مائةَ شاةٍ) (صحيح أبي داود ٣٨٩٦) وفي آخر (وإن كانَ في شيءٍ ممَّا تداوونَ بِهِ خَيرٌ فالحِجامةُ)(صحيح أبي داود ٢١٠٢) وفي ثالث (داوُوا مرضاكم بالصَّدَقةِ)(صحيح الجامع ٣٣٥٨) وفي رابع (عليكمْ بقيامِ الليلِ فإنَّه دأبُ الصالحينَ قبلكمْ، و قربةٌ إلى اللهِ تعالى، و منهاةٌ عنِ الإثمِ، و تكفيرٌ للسيئاتِ، و مطردةٌ للداءِ عنِ الجسدِ)(الجامع الصغير ٥٥٥٥) وهذا غيض من فيض، والنصوص

تدل جميعها وبمجموعها على أن التداوي توحيد وإيمان لا بد فيه من اعتقاد صحيح جازم ومن فعل وقول مأذون فيهما شرعا (عن ابن مسعود: إنَّ اللهَ لم يجعلْ شفاءَكم فيما حرَّم عليكُم) (السلسلة الصحيحة الصفحة أو الرقم : ١٧٥/٤)، فيعتقد العبد أن التداوي من خصائص الربوبية ومن توحيد الألوهية بدليل حديث (قالَتِ الأعرابُ : يا رسولَ اللَّهِ ألا نَتداوى قالَ : نعَم يا عبادَ اللَّهِ تداوَوا فإنَّ اللَّهَ لم يضَعْ داءً إلَّا وضعَ لَهُ شفاءً أو دواءً إلَّا داءً واحدًا فَقالوا : يا رسولَ اللَّهِ وما هوَ قالَ : الهرمُ) (صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم : ٢٠٣٨)، وفي رواية (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لم يُنزِلْ داءً إلَّا أنزَلَ له شِفاءً، عَلِمَه مَن عَلِمَه، وجَهِلَه مَن جَهِلَه.) (تخريج المسند لشعيب الصفحة أو الرقم : ٤٢٣٦)، وفي أخرى (إنَّ اللَّهَ أنزَلَ الدَّاءَ والدَّواءَ، وجعَلَ لكلِّ داءٍ دواءً؛ فتَدَاوَوْا، ولا تَتَدَاوَوْا بحَرامٍ.) (تخريج شرح السنة الصفحة أو الرقم : ١٢/ ١٣٩).

فتبين بهذا أن التداوي تفاعل بين فعل العبد وهو أخذ بالأسباب المأذون فيها مع خلو القلب من التعلق بها وبغير الله وهذا توحيد الألوهية، وبين توحيد الربوبية وهو كون الداء والدواء والشفاء من وضع وجعل وإنزال الرب جل في علاه، فالأسباب أواني فارغة يضع الله فيها ما يشاء، سواء كانت هذه الأسباب اعتقادية قلبية أو قولية أو فعلية، وسواء كانت طردية أو ظنية، وشرط سلامة التداوي عدم اقتراف الأسباب الوهمية ومجانبة الأسباب غير الشرعية.

(فصل)

وأما التداوي عند الطب الكلاسيكي الألوباتيكي أي طب باستور وروكفيلر، وهو المهيمن والمسيطر على هذا المجال والميدان اليوم، فقبل التعرف عليه لا بد من معرفة الحقيقة التاريخية العلمية عندهم : أن لويس باستور وهو أب الطب الحديث وهو ليس طبيبا بل كيميائيا، حاز شهرة لا يستحقها لأنه اعتمد في ذلك على سرقات علمية نسبها لنفسه وانتحل أبحاثا ودراسات وبراءات اختراع وأضافها لسيرته الذاتية، منها بالنسبة لداء الكلب حيث سرق

باستور عمل جالتيير، وبالنسبة لمرض الفحم حيث سرق باستور عمل هنري توسانت، ولعمل علم البلورات سرق عمل أوغست لوران، وسرق البسترة عن نيكولاس أبيرت، وسرق عمل أنطوان بشامب حول مرض دودة القز، في سرقات كثيرة وكبيرة وأكثر سرقاته وعداوته كانت في حق أنطوان بشامب، وأشهر سرقاته وانتحالاته والتي بنى عليها الطب الحديث أسسه الى اليوم هي مسألة الأصل الجرثومي للأمراض المعدية وغير المعدية وقد انتحل وسرق عمل كازيمير دفايين ثم عمل أنطوان بشامب.

فالطب عند باستور أولا مبني على السرقات العلمية وانظر في ذلك كتاب اغوست ليطو بعنوان باستور النصاب المحتال (**Pasteur l'Imposteur - Dr Auguste Lutaud**) وكتاب جول هاربوتيان "أكبر السرقات العلمية" (**Gilles Harpoutian dans son livre "La petite histoire des grandes impostures scientifiques**") وثانيا مبني على أصل فاسد ونظرية خاطئة وهي كون جميع الأمراض سببها الجراثيم والميكروبات والكائنات الحية الدقيقة، وبالتالي فالتداوي عند باستور يقتضي قتل هذه الكائنات الحية الدقيقة وإخفاء الأعراض التي تسببها، وسيظهر بوضوح فساد نظرية باستور بل وضررها في الفصل التالي.

أسست عائلة روكفلر الطب الحديث وقتلت العلاجات الطبيعية، فكانت فرصة رائعة لروكفلر الذي رأى إمكانية احتكار الصناعات النفطية والكيماوية والطبية في نفس الوقت! فشرع في القضاء على المنافسة في مجال التداوي وحرص على فقدان مصداقية الطب الشمولي والطب النباتي والعلاج الطبيعي، وساعده في ذلك المال والإعلام والسياسة، وكذلك الأطباء الحاصلين على التعليم الطبي في معاهده الطبية أو المسترزقين عند شركاته ولوبيات الأدوية، فاستفاد روكفلر من طب باستور وزاد عليه باحتكار الأدوية والاستثمار في الأوبئة والأمراض المزمنة

المدرة للأرباح، فكان التداوي عند روكفيلر هو نفسه الذي عند باستور مع حرص روكفيلر على أن يكون المرضى عنده زبناء دائمين أو فئران تجارب.

(فصل)

(قبل الخوض في حقيقة التداوي عند أصحاب الطب الشمولي الوقائي أو – الهوليستيكي– لابد من تعريف بسيط لهذا الطب ثم لا بد من ابراز حقيقة تاريخية مهملة يقولها أصحاب الطب الشمولي موثقة عندهم لا يعلمها إلا من تجرد للبحث والتحقيق.

الطب الشمولي أو العلاج الهوليستيكي هو طب غير تقليدي ، يعتمد على معنى مشتق من الكُلية والشمول، ويخصص طرقًا تستند إلى فكرة الرعاية المقدمة مع مراعاة "كل الإنسان" كُلية مركبة: جسديا أو عاطفيًا أو عقليًا أو روحيًا نفسانيا ويختلف عن الطب التقليدي من خلال اعتبار المريض "شخصًا لا يتجزأ وليس مريضًا له أعضاء وأعراض مستقلة"

"**Individu**"

وجهل حقيقة المرض ومسألة التداوي شكل الورقة الرابحة لتجارة الأمراض اليوم ولوبيات الأدوية، فقد اعتمدت لوبيات الصيدلة وطب روكفيلر على نظرية باستور في حرب الميكروبات والكائنات الحية الدقيقة بالرغم من تراجع لويس باستور عن بعض أقواله قبل موته حيث قال (الجرثومة لا شيء الأرضية هي كل شيء وكلود برنار كان محقا مصيبا) وهي قولة في أصلها لكلود برنار القائل:(بيشامب محق ، الميكروب لا شيء ، الأرضية هي كل شيء ، باستور مجنون!) ويقصدون بالأرضية هي حالة الفرد في لحظة محددة وفي محيط وبيئة محددة ، يحددها توازنه: – جسديا – نفسيا – عقليا – روحيا.

فالميكروب والجرثوم عندهم لاشيء بمعنى لا تأثير له مطلقا فهو ليس سببا بل نتيجة، وسلك أصحاب الطب الشمولي مسالك في فهم المرض وتفسيره بعيدا عن نظرية باستور والطب التقليدي، فأول المسالك أن منهم من يقول ليس هناك مرض أو وباء مطلقا وإنما اذا تعرض الناس لنفس التلوث الهوائي والمائي والدوائي والكهرومغناطيسي والبيوالكتروني والنفسي والغذائي، فقلت حركتهم وكثر توترهم وخوفهم وقل تعرضهم للشمس والهواء النقي واضطرب نومهم وراحتهم ظهرت عليهم نفس الأمراض والأعراض، وثاني المسالك أن الجسد عندما تكثر السموم فيه والطوكسينات سواء كانت بسبب المخلفات والأزبال الأيضية وهي حمضيات وأحماض أكّالة أو بسبب التوتر والقلق والخوف والانفعالات أو بسبب التغذية غير الفيزيولوجية أو بسبب الأدوية والتلوث الكيميائي للهواء والماء والطعام، وتكون مخارج هذه النفايات العضوية محتقنة وشبه مغلقة ويثقل معها السائل اللمفاوي حينئذ يأمر الجسد كائنات "الميكروزيمات" بانتاج الكائنات العضوية الدقيقة من باكتيريا وفايروسات وفطريات وخمائر، فيحدث الجسد أعراضا يصنفها الطب التقليدي أمراضا وهي في حقيقتها محاولة للجسد للعودة إلى توازنه الطبيعي وهي علامات على البرء والمعافاة، فيحصل الجسد على راحة إجبارية ، وحمية مع حمى منظفة تقتل الميكروبات وإسهال مخلص ، وسعال منفس ، وإلتهاب يرفع العملية التبادلية الأيضية ويسرعها فيأتي الأوكسين والغذاء والكريات البيضاء وتنشط المناعة، ومحاولة الجسد الرجوع إلى توازنه الطبيعي تسمى "هوميوستازي **HOMEOSTASIE**"، فيقتصر دور الميكروبات على النظافة وإزالة الأزبال وتحفيز الجسد على التخلص من السموم والطوكسينات والجذور الحرة وتأخذ الميكروزيمات الأوامر باعادة تنظيم وتفعيل الهرمونات والأنزيمات والموصلات العصبية ثم بعد ذلك تتكفل الميكروزيمات أيضا بالتخلص من الميكروبات التي أنتجتها سابقا، وثالث المسالك وهي نظرية جيل تيسو أن المرض ومنه العدوى ليست موجودة أو على الأقل لا كما يظنها الطب

التقليدي وإنما هي تلوث غذائي يتم عن طريق تناول وبلع المادة الغذائية الملوثة وخصوصا الحبوب ولا يحصل الالتهاب والتعفن وتنشط الأعراض إلا إذا كان الجسد مملوءً بالطوكسينات والسموم ولم يستطع لاحتقان المخارج استفراغها ويستدل جيل تيسو بتجاربه وتجارب غيره حول الديفتيريا والسل والطاعون وغيرها من الأمراض، ويقول أنطوان بيشامب أن الجسد إذا كان في فترة احتقان وانسداد واحتاج إلى التنظيف واعادة توازنه الطبيعي ومعافاته قد يأخذ معلومات أو طفرات معلومة من الكائنات الحية الدقيقة وهي ميكروزيمات أجنبية ومن الخارج الجسد والتي لا يمكنها التكاثر والتوالد داخل جسد آخر غير جسدها الأصلي، فعند أخذ المعلومات يأمر الجسد المحتقن الميكروزيمات بانتاج الميكروبات والكائنات الدقيقة والتي يمكن أن تحولها الميكوزيمات بحسب حاجة الجسد فإن احتاج الجسد الى فيروسات حول البكتيريا الى فيروسات وهو ما يسمى علميا بوليمورفيزم بكتيري ، وأما إذا لم يحتج الجسد الى هذه المعلومات فإنه لا يحصل تعفن والتهاب وأعراض، فالميكروزيمات ومنتوجاتها من الكائنات الدقيقة لا تنتقل بين الأجساد المنظمة وتتكاثر وتتوالد كما يظنه الطب التقليدي الذي أخطأ الطريق في تصوره للأمراض والأوبئة وبنى على ذلك علومه وأدويته وصيرها تجارة مربحة ومضرة، وبالتالي فعند أصحاب الطب الشمولي ليس هناك أوبئة بسبب العدوى وكما يروج له الطب التقليدي، ولكن تجوزا هناك مرضى لهم أعراض متشابهة ولها أسباب متعددة على اعتقاد أصحاب الطب التقليدي، وأما عند أصحاب الطب الشمولي هي أجسام محتقنة في طور معافاتها وفي طريق تخلصها من ذلك الاحتقان والتسمم للعودة إلى توازنها الطبيعي، ويغير التلوث الخصائص الخلطية للكائن الحي، فأثناء الوباء (مثل الطاعون مثلا) ، فإن الفرد المعزول عن أي اتصال بشري سوف يصاب أو لا يصاب بالمرض حسب التغيرات الإلكترونية الحيوية في دمه، وفقًا لمعايير الصحة أو المرض التسعة وهي الظروف التي نخضع لها (وهي ما: – نبلعه و–ما نستنشقه و–ما يدخل من الجلد و—ما نحس به ونشعر ونفكر فيه و—ما سببه

الاشعة الكهرومغناطيسية، و—ما سببه التواصل الاجتماعي، و—ما سببه الحركة الفيزيائية، و—ما سببه الراحة سواء نوما او استرخاء او صوما، و—ما سببه التعرض للشمس) ، فتتحرك الإحداثيات الإلكترونية الحيوية الثلاثة (وهي: –نسبة الحموضة في الدم ومؤشر البروتونات، – ونسبة الأكسدة في الدم ومؤشر الإلكترونات، – ونسبة المقاومة الكهربائية في الدم ونسبة المعادن في الدم) لحالاتنا المزاجية على الإلكترونغرام الحيوي. وبالتالي يمكن نقل حالتنا الصحية إلى الأخير، والنتيجة أن الميكروب هو تكوين داخلي: فهو لا يأتي من الخارج ، بل هو نتيجة للتحولات البيولوجية لخلايا حية طبيعية في محلول (الدم) لم يعد له الخصائص المثالية للحياة ، أي تغيرت الظروف الإلكترونية.

فالتداوي عند الطب الشمولي بعد هذا العرض هو ذاتي داخلي وليس خارجيا ولا يمكن أن يكون كيماويا، والجسد إذا ترك لوحده دون مؤثرات وملوثات وأغذية غير فيزيولوجية دائما يحاول الرجوع إلى توازنه الذي خلقه الله عليه، فالصحة عندهم هي هواء وماء وغذاء غير ملوث وتعرض للشمس والحركة ونوم مخلص وتجنب التوتر، وأما الكائنات الدقيقة والميكروبات ليست سببا بل هي منظفات وجزء من الحل يستدعيها الجسد عند الحاجة إليها بل هناك كائنات وميكروبات نافعة لا بد منها في تحقيق المناعة والهضم وانتاج بعض الفيتامينات كبكتيريا الأمعاء على سبيل المثال لا الحصر.) (منقول من كتابي "تأطير دعوى تأثير العدوى" بتصرف يسير).

(فصل)

التداوي وعلاقته بالتوكل، تظهر في كونه من الأسباب سواء الكونية منها أو الشرعية، والأسباب الكونية على ثلاثة أنحاء:

القسم الأول: سبب طردي شبه مقطوع به بتقدير الله عز وجل كالطعام الذي يدفع أثرَ الجوع، والزرع الذي يُرجى منه النماء، ومثل هذه الأسباب يجب الأخذُ بها شرعًا، ولا يجوز لأحد أن يتركها بدعوى التوكل على الله.

القسم الثاني: سبب مظنون (ظني) يُرجى من مباشرته تحقُّقُ المطلوب بتوفيق الله عز وجل كالتداوي لدفع المرض وجلب العافية، فكم من مريضٍ وصف له الدواء ولم يتمَّ الشفاء! ولكن لا يجوز التداوي بمحرَّم كالخمر، ولا يستحبُّ التداوي بمكروهٍ كالكي، وهذا القسم الأصل فيه الجواز وقد يستحب الأخذ به وقد يجب في حالات، والتداوي من هذا القسم الظني.

القسم الثالث: سبب وهمي، يعتقد كثيرٌ من الناس أنه يجلب النفعَ، ويدفع الضر، وهو في الحقيقة لا تأثير له؛ ولهذا نهى الشرعُ عنه؛ كالتطير والتشاؤم، والذَّهابِ للكاهن والعراف، والاستسقاءِ بالأنواء والنجوم، وتعليقِ التمائم، وسؤالِ غير اللَّه. وهذا لا يجوز للعبد أن يتعاطاه، وإن ثبت بالتجرِبة أنه يتحقق المطلوب به أحيانًا، فهذا من الابتلاء والافتتان والاستدراج، نعوذ بالله من الخذلان؛ بل إن التوكل الحقيقي يكون بالإعراض عن هذا البلاء؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الطيرة شرك))، قال ابن مسعود: وما منا إلا.. ولكن الله يذهبه بالتوكل.

والتوكل الشرعي الصحيح هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع ودفع المضار مع ملاحظة ومباشرة الأسباب غير الوهمية وخلو القلب من الالتفات إليها وعدم الركون والتعلق بها.

فالتداوي سبب ظني والواجب على العبد فيه أمور:

١- ألا يجعل منه سببا إلا ما ثبت أنه سبب شرعا أو قدرا.

٢- ألا يعتمد العبد عليه بل يعتمد على مسببه ومقدره مع قيامه بالمشروع والنافع منه، فالسبب لا يستقل بالمطلوب، بل لا بد معه من أسباب أخرى شرعية وكونية، ومع هذا فله موانع، فإن لم يكمل الله الأسباب ويدفع الموانع لم يحصل المطلوب، وقد يعطي الله أو يمنع مع وجود السبب.

٣- أن يعلم أن التداوي سبب مهما عظم وقوي، فإنه مرتبط بقضاء الله وقدره، فالأسباب أواني فارغة يضع الله فيها ما يشاء، إن شاء أبقى سببيتها على مقتضى حكمته وإن شاء غيرها لئلا يعتمد العبد عليها وليعلم كمال قدرته.

وعلى العبد أن يتقي من التداوي أمرين :

١- الاعتماد والتوكل عليه والثقة به ورجاؤه وخوفه، وهذا شرك يرق ويغلظ وبين ذلك

٢- ترك ما أمر الله به منه.

فعلى العبد أن يتوكل على الله ويعتقد أن الأمر كله بمشيئة الله سبق بها علمه وحكمه، وأن السبب لا يضر ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، ولا يقضي ولا يحكم، ولا يحصل للعبد ما لم تسبق له به المشيئة الالهية، ولذلك جاء في الحديث: احرص على ما ينفعك (وهذا أمر بالحرص على اتخاذ الأسباب) واستعن بالله (وهذا أمر بالاستعانة بالمسبب وبخلو القلب من التعلق بغير الله) ولا تعجز (وهذا نهي عن التقصير في الأسباب وفي الاستعانة وفي الإرادة).

فالتداوي إذن ليس من التوكل الذي هو عمل قلبي خالص لكنه امتحان واختبار وبلاء وربما استدراج يدل على استقامة توكل صاحبه من عدمها. فالتداوي كثيرا ما يوجب

الالتفات وإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة ثم لا يكون إلا ما قدره الله وقضاه.

(فصل)

ما هي علاقة التداوي بالقضاء والقدر؟

للإجابة على هذا السؤال يجب على المسلم أن يعلم أن الأسباب تؤثّر بجعل الله –جل وعلا– الأثر فيها وبتقديره سبحانه ومشيئته، وأنها لا تؤثر بنفسها وتستقل بالأثر، لكن الشأن كل الشأن في كيفية اتخاذها لا في تأثيرها، فالأخذ بالأسباب فعل العبد بتوفيق من الله تعالى وأما تقدير التأثير والنتيجة فمن فعل الله وقدرته وحده جل في علاه، ومن الأسباب التي ضلت فيها عقائد الجاهلية الأولى وضل فيها جهلة الأطباء وكثير من العوام بل وحتى بعض طلبة العلم الشرعي اليوم باب "التداوي"، فهو باب عظيم من أبواب التوحيد وهو من القضاء والقدر فعن زيد بن أسلم قال : (الْقَدَرُ : قُدْرَةُ اللَّهِ تَعَالَى ، فَمَنْ كَذَّبَ بِالْقَدَرِ فَقَدْ جَحَدَ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى) (حديث رقم ٤٨٩ – من كتاب الشريعة للآجري –) ، وأُثر كذلك عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال:(القدر قدرة الله على العباد) (الشريعة، للآجري (٣٩/٢)، والإبانة الكبرى، لابن بطه (١٣١/٢).) بل إن القدر هو نظام التوحيد الذي أمرنا بتحقيقه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : (الْقَدَرُ نِظَامُ التَّوْحِيدِ, فَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ, وَآمَنَ بِالْقَدَرِ, فَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا, وَمَنْ وَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى, وَكَذَّبَ بِالْقَدَرِ, نَقْضَ التَّوْحِيدَ) (السنة لعبد الله بن الإمام أحمد، تحت رقم (٩٢٥, ٩٢٨), القدر للفريابي تحت رقم (٢٠٥)، والشريعة للآجري صـ ١٩٧, وابن بطة في: الإبانة تحت رقم (١٦١٨, ١٦١٩)، وشرح اعتقاد أهل السنة للالكائي تحت رقم (١١١٢, ١٢٢٤). ويتقوى بتعدد الطرق إلى الحسن لغيره.).

ثم اعلم أن الإيمان بالقدر لا يصح حتى تؤمن بمراتب القدر الأربع وهي :

١) العلم: الإيمان بأن الله تعالى علم كل شيء جملة وتفصيلا من الأزل والقدم فلا يغيب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض .

٢) الكتابة: الإيمان بأن الله كتب كل ذلك في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

٣) المشيئة: الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فلا يكون في هذا الكون شيء من الخير والشر إلا بمشيئته سبحانه .

٤) الخلق والإيجاد: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله فهو خالق الخلق وخالق صفاتهم وأفعالهم كما قال سبحانه : (ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء) (الأنعام/١٠٢)

والتداوي بأقسامه الثلاثة وهي الداء والدواء والشفاء شأنها شأن الأقدار بل هي منها، لا بد وأن تنتظمها وتتحقق فيها مراتب القدر الأربع المذكورة قبل، ولذلك جاء في حديث (ما أَنْزَلَ اللَّهُ داءً إِلَّا أَنْزَلَ له شِفاءً) (أخرجه البخاري (٥٦٧٨)) وفي آخر (ما أنزل اللهُ عز وجل مِنْ داءٍ إلا أنزل معه شفاءً ، وقال عفانٌ مرةً : إلا أنزل له شفاءً علِمه مَنْ علِمه وجهِله مَنْ جهِله) (أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (٦٨٦٣) أوله في أثناء حديث، وابن ماجه (٣٤٣٨) مختصراً، وأحمد (٤٣٣٤) واللفظ له.) وفي آخر (قالَتِ الأعرابُ : يا رسولَ اللَّهِ ألا نَتداوى قالَ : نعَم يا عبادَ اللَّهِ تداوَوا فإنَّ اللَّهَ لم يضَعْ داءً إلَّا وضعَ لَهُ شفاءً أو دواءً إلَّا داءً واحدًا فَقالوا : يا رسولَ اللَّهِ وما هوَ قالَ : الهرمُ) (صحيح الترمذي الصفحة أو الرقم : ٢٠٣٨)، وفي رواية (إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لم يُنزِلْ داءً إلَّا أنزَلَ له شِفاءً، عَلِمَه مَن عَلِمَه، وجَهِلَه مَن جَهِلَه.) (تخريج المسند لشعيب الصفحة أو الرقم : ٤٢٣٦)، وفي أخرى (إنَّ اللَّهَ أنزَلَ الدَّاءَ والدَّواءَ، وجعَلَ لكلِّ داءٍ دواءً؛ فتَداوَوْا، ولا تَتَداوَوْا بحَرامٍ.) (تخريج شرح السنة الصفحة أو الرقم : ١٢/ ١٣٩).

وفي حديث (إِنَّ اللهَ – عز وجل – حَيْثُ خَلَقَ الدَّاءَ , خَلَقَ الدَّوَاءَ، فَتَدَاوُوا) (صحيح الجامع: ١٧٥٤ , غاية المرام: ٢٩٢ , وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن).وفي حديث (إنَّ الله عزّ وجلّ أنْزَلَ الدَّاءَ والدَّواء، وجَعَلَ لِكُل داءٍ دَوَاءً، فَتَداووا، ولا تَدَاووا بحرَام") (سنن أبي داود وصححه الارناؤوط). وفي القرآن (وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ، وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ)(سورة المؤمنون الآية٧٦) وفيه أيضا (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ)(الأعراف – الآية ٩٤).

فتبين من هذه النصوص أن التداوي من خصائص الربوبية كما دلت عليه أفعال الله جل في علاه "أنزل" و"وضع" و"خلق" و"جعل" و"كشف" و"أخذ" وأما العبد فقد أمر بالأخذ بالأسباب المشروعة كما تدل عليه لفظة "تداووا" مع خلو قلبه من التعلق بها والالتفات إليها، وفي الحقيقة الشفاء أمر غيبي والعبد اتخذ مجموعة من الأسباب المشروعة، شرعية وكونية قدرية، والذي أمره باتخاذ الأسباب أمره أن لا يلتفت إليها فضلا عن التعلق بها، بل يتعلق بمسببها جل وعلا وحده فهو لا يقبل الشريك، لكن العبد لضعفه وجهله بربه يأبى إلا الالتفات إليها والتعلق بها، ومن تعلق بشيء وكل إليها وعذب به، فالتداوي إذن أصل كبير من القضاء والقدر، وباب عظيم من أبواب توحيد الربوبية والألوهية، وابتلاء واختبار لعقيدة العبد وسلامته الحسية والمعنوية، وليعلم العبد أنه لا ينفع الدواء حتى ينزل الشفاء لا العكس، والله يحجب عن العبد السبب الذي أنزل الله معه الشفاء رحمة به ليستقيم له توحيده لربه وينجو بفضله من مشاكسة الأسباب، وما منا إلا ويلتفت ولكن الله يذهبه بالتوكل عليه سبحانه وبالاستعانة به مع استحضار تلك المعاني والانقياد للوحي.

إشارة وإنارة : ذهب أهل العلم في معنى الإنزال مذاهب، فمنهم من قال هو إنزال علم على لسان الملك الموكل بذلك، بمعنى أعلمهم إياه وأذن لهم فيه، ومنهم من قال إنزال التقيد بالحال

والتقييد بالحلال، ومنهم من قال هو إنزال بمعنى التقدير، ومنهم من قال هو إنزال خلق الأدوية، ومنهم من قال هو إنزال الملائكة الموكلين بمباشرة مخلوقات الله بالداء والدواء، في معاني كثيرة يحتملها اللفظ ولا تتعارض لكن لما كان الفعل فعل الله تعالى وأفعال الله وأسماؤه وصفاته مدارها على التوقيف على الألفاظ ومعانيها الشرعية، وحيث جاء في الوحي معنى "أنزل" وهي "وضع" و"جعل" و"خلق" فكان خير ما يفسر به اللفظ الشرعي ما جاء به الشرع، كما أن اللَّفْظَ الْوَارِدَ إِذَا تَبَادَرَ مَدْلُولُهُ إِلَى الذِّهْنِ عِنْدَ إِطْلَاقِهِ، فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ يَكُونُ حَقِيقَةً فِيهِ لِاخْتِصَاصِ ذَلِكَ بِالْحَقِيقَةِ غالبا، وَكَمَا أَنَّ الْمُرْتَفِعَ مِنَ الْأَشْخَاصِ هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي تُبَادِرُ إِلَيْهِ الْأَبْصَارُ، فَكَذَلِكَ الْمَعْنَى الْمُتَبَادِرُ مِنَ اللَّفْظِ، هُوَ الظَّاهِرُ الَّذِي تُبَادِرُ إِلَيْهِ الْبَصَائِرُ وَالْأَفْهَامُ، فالتبادر دليل الحقيقة، كيف وقد دلت النصوص على المعنى المتبادر، كما في حديث (غَطُّوا الإناءَ، وأَوْكُوا السِّقاءَ، فإنَّ في السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فيها وباءٌ، لا يَمُرُّ بإناءٍ ليسَ عليه غِطاءٌ، أوْ سِقاءٍ ليسَ عليه وِكاءٌ، إلَّا نَزَلَ فيه مِن ذلكَ الوَباءِ. وفي روايةٍ : فإنَّ في السَّنَةِ يَوْمًا يَنْزِلُ فيه وباءٌ) ((صحيح مسلم)). وفي رواية أخرى عند أحمد في المسند (إِلَّا وَقَعَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ) .وفي حديث ((أتاني جبريلُ بالحُمَّى و الطاعونِ ، فأَمسكْتُ الحُمَّى في المدينةِ ، وأرسلْتُ الطاعونَ إلى الشَّامِ ، فالطَّاعونُ شَهادةٌ لأُمَّتِي ، و رَحمةٌ لَهم ، و رِجسٌ على الكافرينَ)) ((أخرجه أحمد (٥/٨١) (٢٠٧٨٦)، والطبراني (٢٢/٣٩١) (٩٧٤).)).

(فصل)

ما هي علاقة التداوي بتوحيد الألوهية وتحقيق العبودية لله وحده؟

تقدم أن التداوي والشفاء من خصائص الربوبية، والقاعدة أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء يشملهما معا وواسطة بينهما، فإن توحيد الربوبية هو الأصل وهو الدليل على توحيد الألوهية، فإذا كان الله تعالى هو

المتفرّد بخلق السماوات والأرض لم يشرك فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. فكونه هو الخالق وحده يقتضي أن يكون هو المعبود وحده، فاعتقاد العبد أن الله هو الشافي يستلزم الاقرار بأنه سبحانه اختص بإنزال الشفاء والداء والدواء على مقتضى النصوص السابقة، وهذا يستلزم دعاءه والتضرع له والانقياد لأوامره وحده لا شريك له، ولذلك من حِكَم الإبتلاء بالأمراض وبالتداوي توحيد الله سبحانه بالتضرع والتعبد لله جل في علاه، قال تعالى{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ . بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ . وَلَقَدْ أَرْسَلْنا إِلى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ . فَلَوْلا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُوا وَلكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذا فَرِحُوا بِما أُوتُوا أَخَذْناهُمْ بَغْتَةً فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ}(الأنعام – الآية ٤٠-٤٤) قال ابن جرير في تفسيره (فأخذناهم بالبأساء، يقول: فأمرناهم ونهيناهم، فكذبوا رسلنا، وخالفوا أمرنا ونهينا، فامتحناهم بالابتلاء ="بالبأساء"، وهي شدة الفقر والضيق في المعيشة ="والضراء"، وهي الأسقام والعلل العارضة في الأجسام) فالتداوي والأسقام والعلل يستخرج بها الله من عباده عبادات –كالصبر والرضا والدعاء والقنوت والصدقة وقيام الليل وغيرها – ويصلح بها عادات وسلوكات واعتقادات، وفي الحديث (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ) (إسناده صحيح على شرط البخاري، رجاله ثقات رجال الشيخين غير محمد بن عبد الله بن أبي صعصعة، فمن رجال البخاري. وهو في "الموطأ" ومن طريق مالك أخرجه ابن المبارك في "الزهد" (٤٦٤) ، والبخاري (٥٦٤٥) ، والنسائي في "الكبرى" (٧٤٧٨) ، وابن حبان (٢٩٠٧) ، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٣٤٤) ، والبغوي (١٤٢٠)) . وفي حديث آخر (مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) (أخرجه الدارمي (٢٢٥) ، والترمذي (٢٦٤٥) ، والطبراني (١٠٧٨٧) ، والبغوي (١٣٢) من طرق عن إسماعيل بن جعفر، بهذا الإسناد. قال الترمذي: حسن صحيح. واللفظ لأحمد في مسنده)

فالله عز وجل له على الإنسان أوامر، والنفس لها أوامر، والله يريد من الإنسان تكميل الإيمان والأعمال الصالحة، والنفس تريد تكميل الأموال والشهوات، والله عز وجل يريد منا العمل للآخرة، والنفس تريد العمل للدنيا، والإيمان هو سبيل النجاة والمصباح الذي يبصر به الحق

من غيره وهذا محل الابتلاء. قال الله تعالى: { وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ }(هود - الآية ٧) قال الله تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ .}(العنكبوت - الآية ٢) ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أنْ نَغَّصَ عليهم الدنيا، وكَدَّرها عليهم؛ لئلا يسكنوا إليها، ولا يطمئنوا بها، ليرغبوا في دار النعيم المقيم عند ربهم في الجنة.فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان.فَمَنَعهم ليعطيهم .. وابتلاهم ليعافيهم .. وأماتهم ليحييهم.

قال الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ. الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ .}(البقرة - الآية ١٥٥-١٥٧) .

(فصل)

ما هي حقيقة التداوي في الشرع؟

تقرر أن التداوي توحيد وإيمان، وبالتالي فما تدل عليه النصوص هو أنه يكون اعتقادا وهو الأصل والمصدر، ويكون قولا كالدعاء والذكر والرقية، ويكون عملا كالصدقة وغيرها، وتقدم أن التداوي على وزن تَفَاعَل وهي صيغة تفيد المشاركة والتدرج والمطاوعة والمبالغة والتكثير. هي مشاركة بين فعل الرب جل وعلا فهو وحده الذي قدر وأنزل ووضع وجعل وخلق الداء والدواء وهو الذي ينزل الشفاء متى وكيف شاء، وبين فعل العبد باتخاذه الأسباب المشروعة، الظنية خصوصا لأن التداوي منها، مع خلو القلب من التعلق بها والالتفات إليها، ومع اعتقاد

أن الأسباب الشرعية هي الأصل والمصدر الأول، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: (عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ , وَالْقُرْآنِ.) (صححه الألباني في الضعيفة تحت حديث: ١٥١٤) وقد اختار الله سبحانه لسيد الخلق أجمعين أفضل وأكمل أسباب التداوي فلقد أَخْبَرَتْ عائِشَة رضي الله عنها: (أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى، يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ، وَيَنْفُثُ "، قَالَ: قَالَتْ عَائِشَةُ: " فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُنْتُ أَنَا أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَمْسَحُ عَنْهُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا)(أخرجه البخاري (٥٠١٦)، ومسلم (٢١٩٢)، وأبو داود (٣٩٠٢)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٧٠٨٦)، وابن ماجه (٣٥٢٩)، وأحمد (٢٤٨٣١) واللفظ له) وكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مَسَحَهُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ قَالَ: (كانَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُعَوِّذُ بَعْضَهُمْ، يَمْسَحُهُ بيَمِينِهِ: أذْهِبِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، واشْفِ أنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا)(صحيح البخاري ٥٧٥٠) وهو القائل تداووا عباد الله، فبين لنا صلى الله عليه وسلم حقيقة التداوي بقوله وفعله وتقريره فذكر لنا نماذج من أسباب التداوي الشرعي القدري كما في حديث (الشِّفَاءُ فِي ثَلاثَةٍ: شَرْبَةِ عَسَلٍ، وَشَرْطَةِ مِحْجَمٍ، وَكَيَّةٍ بِنَارٍ، وَأَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ) (صحيح البخاري)، وفي حديث (إِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ – أَوْ: يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَدْوِيَتِكُمْ – خَيْرٌ، فَفِي شَرْطَةِ مِحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ لَذْعَةٍ بِنَارٍ تُوَافِقُ الدَّاءَ، وَمَا أُحِبُّ أَنْ أَكْتَوِيَ) (صحيح البخاري)، وفي حديث في مسند أحمد (خَيْرُ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ، وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ، وَلَا تُعَذِّبُوا صِبْيَانَكُمْ بِالْغَمْزِ) وفي آخر قال(دَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ)(صَحِيح الْجَامِع: ٣٣٥٨ , صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيب:٧٤٤) وفي أثر (عليكمْ بقيامِ الليلِ فإنَّه دأبُ الصالحينَ قبلكمْ، و قربةٌ إلى اللهِ تعالى، و منهاةٌ عنِ الإثمِ، و تكفيرٌ للسيئاتِ، و مطردةٌ للداءِ عنِ الجسدِ) وقال صلى الله عليه وسلم («التَّلْبِينَةُ مُجِمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ تَذْهَبُ بِبَعْض الْحزن») وقال عن الصيام (أنَّ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، قالَ: الصِّيَامُ جُنَّةٌ فلا يَرْفُثْ ولَا يَجْهلْ، وإنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إنِّي صَائِمٌ مَرَّتَيْنِ وَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِن رِيحِ المِسْكِ. يَتْرُكُ

طَعَامَهُ وشَرَابَهُ وشَهْوَتَهُ مِن أجْلِي الصِّيَامُ لِي، وأَنَا أجْزِي به والحَسَنَةُ بعَشْرِ أمْثَالِهَا)(صحيح البخاري ١٨٩٤) فهو وقاية من النار ومن الامراض ومن الشهوات، وتصديقه من كلام ربنا عزوجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) (البقرة – الآية ١٨٤-١٨٥) فصيامكم خير لكم لو تعلمون .والتداوي شأنه شأن الدعوة والبيان والتعليم والتشريع بل شأن سنن الله تعالى في الخلق تتناولها كلها سنة التدرج، وحتى ابليس وأولياؤه يسلكون التدرج في غواية الناس وفتنتهم، ولذلك يلحظ الناس حسيا أن البرء والشفاء يتدرج حتى يبلغ كماله وتمامه، وأما المطاوعة وهي الاستجابة فلا بد منها في باب التداوي حتى يحصل المطلوب، يستجيب الجسد ويتفاعل مع الأسباب ويستجيب القلب إلى مسبب الأسباب وتلك هي حقيقة التوكل التي سبقت الإشارة إليها، وأما المبالغة والتكثير فليس المقصود كثرة مباشرة أسباب التداوي وإنما المراد تكثير ترويض القلب على التعلق بالشافي وحده لا شريك له والمبالغة في الركون إليه جل وعلا.

ويقول الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى في معرض مقارنته بين الغذاء والدواء أو التداوي:

(وَلَيْسَ التَّدَاوِي بِضَرُورَةٍ لِوُجُوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّ كَثِيرًا مِنْ الْمَرْضَى، أَوْ أَكْثَرَ الْمَرْضَى يُشْفَوْنَ بِلَا تَدَاوٍ، لَا سِيَّمَا فِي أَهْلِ الْوَبَرِ وَالْقُرَى، وَالسَّاكِنِينَ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ يَشْفِيهِمْ اللَّهُ بِمَا خَلَقَ فِيهِمْ مِنْ الْقُوَى الْمَطْبُوعَةِ فِي أَبْدَانِهِمْ، الرَّافِعَةِ لِلْمَرَضِ، وَفِيمَا يُيَسِّرُهُ لَهُمْ مِنْ نَوْعِ حَرَكَةٍ وَعَمَلٍ أَوْ دَعْوَةٍ مُسْتَجَابَةٍ أَوْ رُقْيَةٍ نَافِعَةٍ، أَوْ قُوَّةٍ لِلْقَلْبِ، وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ الْكَثِيرَةِ غَيْرِ الدَّوَاءِ، وَأَمَّا

الْأَكْلُ فَهُوَ ضَرُورِيٌّ، وَلَمْ يَجْعَلْ اللَّهُ أَبْدَانَ الْحَيَوَانِ تَقُومُ إلَّا بِالْغِذَاءِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَمَاتَ، فَثَبَتَ بِهَذَا أَنَّ التَّدَاوِيَ لَيْسَ مِنْ الضَّرُورَةِ فِي شَيْءٍ.

وَثَانِيهَا: أَنَّ الْأَكْلَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَاجِبٌ. قَالَ مَسْرُوقٌ: مَنْ اُضْطُرَّ إلَى الْمَيْتَةِ، فَلَمْ يَأْكُلْ، فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ وَالتَّدَاوِي غَيْرُ وَاجِبٍ «وَمَنْ نَازَعَ فِيهِ خَصَمَتْهُ السُّنَّةُ فِي الْمَرْأَةِ السَّوْدَاءِ الَّتِي خَيَّرَهَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بَيْنَ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ وَبَيْنَ الدُّعَاءِ بِالْعَافِيَةِ، فَاخْتَارَتْ الْبَلَاءَ وَالْجَنَّةَ» ، وَلَوْ كَانَ رَفْعُ الْمَرَضِ وَاجِبًا لَمْ يَكُنْ لِلتَّخْيِيرِ مَوْضِعٌ، كَدَفْعِ الْجُوعِ، وَفِي دُعَائِهِ لِأُبَيٍّ بِالْحُمَّى، وَفِي اخْتِيَارِهِ الْحُمَّى لِأَهْلِ قُبَاءَ، وَفِي دُعَائِهِ بِفَنَاءِ أُمَّتِهِ بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ، وَفِي نَهْيِهِ عَنْ الْفِرَارِ مِنْ الطَّاعُونِ، وَخَصَمَهُ حَالُ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ الْمُبْتَلِينَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْبَلَاءِ، **حِينَ لَمْ يَتَعَاطَوْا الْأَسْبَابَ الدَّافِعَةَ لَهُ**، مِثْلُ أَيُّوبَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – وَغَيْرِهِ، وَخَصَمَهُ حَالُ السَّلَفِ الصَّالِحِ. فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – حِينَ قَالُوا لَهُ: أَلَا نَدْعُو لَك الطَّبِيبَ، قَالَ: قَدْ رَآنِي، قَالُوا: فَمَا قَالَ لَك؟ قَالَ: إنِّي فَعَّالٌ لِمَا أُرِيدُ. وَمِثْلُ هَذَا وَنَحْوِهِ يُرْوَى عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ خَيْثَمٍ الْمُخْبِتِ الْمُنِيبِ، الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ الْكُوفِيِّينَ أَوْ كَأَفْضَلِهِمْ، وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ الْهَادِي الْمَهْدِيّ، وَخَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يُحْصُونَ عَدَدًا، وَلَسْت أَعْلَمُ سَالِفًا أَوْجَبَ التَّدَاوِي، وَإِنَّمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْمَعْرِفَةِ يُفَضِّلُ تَرْكَهُ تَفَضُّلًا، وَاخْتِيَارًا لِمَا اخْتَارَ اللَّهُ، وَرِضًى بِهِ، وَتَسْلِيمًا لَهُ، وَهَذَا الْمَنْصُوصُ عَنْ أَحْمَدَ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ يُوجِبُهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَحِبُّهُ، وَيُرَجِّحُهُ كَطَرِيقَةِ كَثِيرٍ مِنْ السَّلَفِ، اسْتِمْسَاكًا لِمَا خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ الْأَسْبَابِ، وَجَعَلَهُ مِنْ سُنَنِهِ فِي عِبَادِهِ .

وَثَالِثُهَا: أَنَّ الدَّوَاءَ لَا يُسْتَيْقَنُ، **بَلْ وَفِي كَثِيرٍ مِنْ الْأَمْرَاضِ لَا يُظَنُّ دَفْعُهُ لِلْمَرَضِ، إذْ لَوْ اطَّرَدَ ذَلِكَ لَمْ يَمُتْ أَحَدٌ**، بِخِلَافِ دَفْعِ الطَّعَامِ لِلْمَسْغَبَةِ وَالْمَجَاعَةِ، فَإِنَّهُ مُسْتَيْقَنٌ بِحُكْمِ سُنَّةِ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ وَخَلْقِهِ.

وَرَابِعُهَا: أَنَّ الْمَرَضَ يَكُونُ لَهُ أَدْوِيَةٌ شَتَّى، فَإِذَا لَمْ يَنْدَفِعْ بِالْمُحَرَّمِ انْتَقَلَ إلَى الْمُحَلَّلِ. وَمُحَالٌ أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْحَلَالِ شِفَاءٌ، أَوْ دَوَاءٌ، وَالَّذِي أَنْزَلَ الدَّاءَ أَنْزَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً إلَّا الْمَوْتَ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ أَدْوِيَةُ الْأَدْوَاءِ فِي الْقِسْمِ الْمُحَرَّمِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الرَّءُوفُ الرَّحِيمُ، وَإِلَى هَذَا الْإِشَارَةُ بِالْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ: «إنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَ أُمَّتِي فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهَا» .بِخِلَافِ الْمَسْغَبَةِ، فَإِنَّهَا وَإِنْ انْدَفَعَتْ بِأَيِّ طَعَامٍ، أُتُّفِقَ إلَّا أَنَّ الْخَبِيثَ إنَّمَا يُبَاحُ عِنْدَ فَقْدِ غَيْرِهِ، فَإِنْ صَوَّرْت مِثْلَ هَذَا فِي الدَّوَاءِ، فَتِلْكَ صُورَةٌ نَادِرَةٌ؛ لِأَنَّ الْمَرَضَ أَنْدَرُ مِنْ الْجُوعِ بِكَثِيرٍ، وَتَعَيُّنُ الدَّوَاءِ الْمُعَيَّنِ وَعَدَمُ غَيْرِهِ نَادِرٌ، فَلَا يُنْتَقَضُ هَذَا، عَلَى أَنَّ فِي الْأَوْجُهِ السَّالِفَةِ غِنًى.

وَخَامِسُهَا: وَفِيهِ فِقْهُ الْبَابِ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ خَلْقَهُ مُفْتَقِرِينَ إلَى الطَّعَامِ وَالْغِذَاءِ، لَا تَنْدَفِعُ مَجَاعَتُهُمْ وَمَسْغَبَتُهُمْ إلَّا بِنَوْعِ الطَّعَامِ وَصِنْفِهِ. فَقَدْ هَدَانَا وَعَلَّمَنَا النَّوْعَ الْكَاشِفَ لِلْمَسْغَبَةِ الْمُزِيلَ لِلْمَخْمَصَةِ. **وَأَمَّا الْمَرَضُ فَإِنَّهُ يُزِيلُهُ بِأَنْوَاعٍ كَثِيرَةٍ مِنْ الْأَسْبَابِ: ظَاهِرَةٌ وَبَاطِنَةٌ، رُوحَانِيَّةٌ وَجُسْمَانِيَّةٌ**، فَلَمْ يَتَعَيَّنْ الدَّوَاءُ مُزِيلًا ثُمَّ الدَّوَاءُ بِنَوْعِهِ لَمْ يَتَعَيَّنْ لِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَجْسَامِ فِي إزَالَةِ الدَّاءِ الْمُعَيَّنِ، ثُمَّ ذَلِكَ النَّوْعُ الْمُعَيَّنُ يَخْفَى عَلَى أَكْثَرِ النَّاسِ بَلْ عَلَى عَامَّتِهِمْ دَرْكُهُ، وَمَعْرِفَتُهُ الْخَاصَّةُ الْمُزَاوِلُونَ مِنْهُمْ هَذَا الْفَنَّ أُولُو الْأَفْهَامِ وَالْعُقُولِ يَكُونُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ قَدْ أَفْنَى كَثِيرًا مِنْ عُمُرِهِ فِي مَعْرِفَتِهِ ذَلِكَ، ثُمَّ يَخْفَى عَلَيْهِ نَوْعُ الْمَرَضِ وَحَقِيقَتُهُ، وَيَخْفَى عَلَيْهِ دَوَاؤُهُ وَشِفَاؤُهُ، فَفَارَقَتْ الْأَسْبَابُ الْمُزِيلَةُ لِلْمَرَضِ، الْأَسْبَابَ الْمُزِيلَةَ لِلْمَخْمَصَةِ فِي هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْبَيِّنَةِ وَغَيْرِهَا، فَكَذَلِكَ افْتَرَقَتْ أَحْكَامُهَا كَمَا ذَكَرْنَا، وَبِهَذَا ظَهَرَ الْجَوَابُ عَنْ الْأَقْيِسَةِ الْمَذْكُورَةِ. وَالْقَوْلُ الْجَامِعُ فِيمَا يَسْقُطُ وَيُبَاحُ لِلْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ مَا حَضَرَنِي الْآنَ..) (الفتاوى الكبرى ١/٣٩٢).

ويقول الامام ابن القيم رحمه الله تعالى : (وَكَيْفَ تُقَاوِمُ الْأَدْوَاءُ كَلَامَ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الَّذِي لَوْ نَزَلَ عَلَى الْجِبَالِ لَصَدَّعَهَا، أَوْ عَلَى الْأَرْضِ لَقَطَّعَهَا، فَمَا مِنْ مَرَضٍ مِنْ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ إلَّا وَفِي الْقُرْآنِ سَبِيلُ الدِّلَالَةِ عَلَى دَوَائِهِ وَسَبَبِهِ، وَالْحِمْيَةِ مِنْهُ لِمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ فَهْمًا فِي

كِتَابِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ عَلَى الطِّبِّ بَيَانُ إِرْشَادِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ إِلَى أُصُولِهِ وَمَجَامِعِهِ الَّتِي هِيَ حِفْظُ الصِّحَّةِ وَالْحِمْيَةُ، وَاسْتِفْرَاغُ الْمُؤْذِي، وَالِاسْتِدْلَالُ بِذَلِكَ عَلَى سَائِرِ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ.وَأَمَّا الْأَدْوِيَةُ الْقَلْبِيَّةُ، فَإِنَّهُ يَذْكُرُهَا مُفَصَّلَةً، وَيَذْكُرُ أَسْبَابَ أَدْوَائِهَا وَعِلَاجَهَا. قَالَ: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ} [العنكبوت: ٥١] ، فَمَنْ لَمْ يَشْفِهِ الْقُرْآنُ، فَلَا شَفَاهُ اللَّهُ، وَمَنْ لَمْ يَكْفِهِ فَلَا كَفَاهُ اللَّهُ.) (زاد المعاد ٤/٣٣٣).

ولا أدل على حقيقة التداوي من حديث أُمّ زُفَرَ تِلْكَ المرأَة الطَوِيلَة السَوْدَاء رضي الله عنها , فعَنْ عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: (قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ , قُلْتُ: بَلَى , قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ , أَتَتْ النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَنِي، قَالَ: " إِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَكِ، وَإِنْ شِئْتِ فَاصْبِرِي , وَلَا حِسَابَ عَلَيْكِ " , قَالَتْ: بَلْ أَصْبِرُ , وَلَا حِسَابَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ , فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ , " فَدَعَا لَهَا ") (صحيح البخاري) وفي رواية (عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلاَ أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لاَ أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، أَخْبَرَنِي عَطَاءٌ: «أَنَّهُ رَأَى أُمَّ زُفَرَ تِلْكَ امْرَأَةً طَوِيلَةً سَوْدَاءَ، عَلَى سِتْرِ الكَعْبَةِ») (صحيح البخاري)

فهذه المرأة عرفت حقيقة التداوي حق المعرفة وأقرها النبي على ذلك، قالت : ادْعُ اللهَ أَنْ يَشْفِيَنِي، حيث تقرر عندها أن الداء والدواء والشفاء من خصائص الله جل وعلا وعلمت أن الدعاء دواء وأي دواء، وعلمت أن التداوي ليس ضرورة ولا يجب وعندها صرع وهو عند أهل هذا العصر مرض مزمن لا يرجى برؤه اللهم المسكنات والمخدرات، وعلمت أنها مخيرة

فاختارت أرفع مقام هو مقام الصابرين، وعلمت أن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم شفاء لكنها آثرت الانتفاع به في ما يبقى لا فيما يفنى . وفِيهِ إِيمَاءٌ إِلَى جَوَازِ تَرْكِ الدَّوَاءِ بِالصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ، بَلْ ظَاهِرُهُ أَنَّ إِدَامَةَ الصَّبْرِ مَعَ الْمَرَضِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَافِيَةِ، وفي الحديث رد صريح على من حصر هذا الاطلاق وقيده بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَعْضِ الْأَفْرَادِ مِمَّنْ لَا يُعَطِّلُهُ الْمَرَضُ عَمَّا هُوَ بِصَدَدِهِ عَنْ نَفْعِ الْمُسْلِمِينَ، فالمرأة تصرع فتغيب عن الواجبات وعن نفع المسلمين وهي تقم مسجدهم ومع هذا أقر الوحي اختيارها وأذن لها فيه.

ومن أوضح الأدلة على تقرير هذه المعاني في مسألة التداوي حديث اللديغ :

وفي حديث (أنَّ نَاسًا مِن أَصْحَابِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ كَانُوا في سَفَرٍ، فَمَرُّوا بحَيٍّ مِن أَحْيَاءِ العَرَبِ، فَاسْتَضَافُوهُمْ فَلَمْ يُضِيفُوهُمْ، فَقالوا لهمْ: هلْ فِيكُمْ رَاقٍ؟ فإنَّ سَيِّدَ الحَيِّ لَدِيغٌ، أَوْ مُصَابٌ، فَقالَ رَجُلٌ منهمْ: نَعَمْ، فأتَاهُ فَرَقَاهُ بفَاتِحَةِ الكِتَابِ، فَبَرَأَ الرَّجُلُ، فَأُعْطِيَ قَطِيعًا مِن غَنَمٍ، فأبَى أَنْ يَقْبَلَهَا، وَقالَ: حتَّى أَذْكُرَ ذلكَ للنبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ، فأتَى النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَذَكَرَ ذلكَ له، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، وَاللَّهِ ما رَقَيْتُ إلَّا بفَاتِحَةِ الكِتَابِ فَتَبَسَّمَ وَقالَ: وَما أَدْرَاكَ أنَّهَا رُقْيَةٌ؟ ثُمَّ قالَ: خُذُوا منهمْ، وَاضْرِبُوا لي بسَهْمٍ معكُمْ. وفي رواية : بهذا الإسْنَادِ. وَقالَ في الحَديثِ: فَجَعَلَ يَقْرَأُ أُمَّ القُرْآنِ، وَيَجْمَعُ بُزَاقَهُ وَيَتْفِلُ فَبَرَأَ الرَّجُلُ.) (صحيح مسلم ٢٢٠١) وفي الحديث اقرار النبي صلى الله عليه وسلم أن الفاتحة رقية ودواء بل شفاء لقول أبي سعيد (فَرَقَاهُ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، فَبَرَأَ) ومن قبل قال رجل منهم (فَدَاوُوهُ فَلَمْ يَنْفَعْهُ شَيْءٌ).

قال الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله في معرض حديثه عن التداوي بالحرام : (وأما قولك: إنه ثبت بالتجربة أنه دواء ناجح لهذا المرض. فهذا غير صحيح، لأنه لا تلازم بين تعاطي الدواء المحرم وبين زوال المرض بعد التعاطي، **لأن زواله قد يكون بدواء شرعي وطبيعي**

وعادي ولكن صادف زواله تعاطي هذا الدواء الذي هو في الحقيقة داء فنسب إليه. وقد يكون زواله لا من أجل كونه دواء ولكن من باب الابتلاء والامتحان.

وأما قولك إن الأطباء عاجزون في الغالب عن علاج هذا الداء، فهذا لا يصح الاستناد عليه لإباحة التداوي بهذا المحرم، لأن عجز عدد من الأطباء لا يلزم منه عجز غيرهم، ولا يلزم منه عدم وجود داء مباح مما يعرفه الأطباء **على أن الأدوية الشرعية هي المصدر الأول للتداوي، والشفاء بيد الله تعالى**، والدواء المباح سبب من الأسباب التي شرع التداوي بها..) (فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ) .

وأشار الشيخ رحمه الله تعالى إلى أن (الدواء قد يحتوي على مكونات خبيثة تكسب الطبيعة والروح صفة الخبث لأن الطبيعة تنفعل عن كيفية الدواء انفعالا بينا، وأن النفوس تميل إلى الدواء ذريعة إلى تناوله شهوة أو لذة لاسيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها مزيل لأسقامها جالب لشفاءها..فلا يسعى العبد في إزالة سقم بدنه بسقم قلبه...) (فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ) . وأشار الشيخ رحمه الله كذلك إلى مسألة عظيمة وهي ميل النفس إلى الدواء وتعلقها به، فلا تنفك النفس إذا خذلت ولم يحالفها توفيق من الله تعالى عن تعلق ورجاء أو تشاؤم وخوف أو هما معا، فتتناول الدواء مع ثقة بتأثيره وتعلق به أو تتناوله خوفا من مضاعفاته أو خوفا من سوء اختياره، فالتداوي والتشاؤم اجتمعا في الخوف وتوقع السوء والضرر ولا يذهب كل ذلك إلا بصدق التوكل على الله تعالى .

(فصل)

وخلاصة هذه الرسالة، أسأل الله جل وعلا أن تكون خالصة لوجهه الكريم، فهو سبحانه لم يخلقنا عبثا ولم يتركنا هملا ولم يدعنا سدى، بل أمرنا بما يقومنا وتكفل لنا بما يحفظنا ويصلح لنا الأجساد والاعتقاد، فالتداوي إذن باب عظيم من أبواب التوحيد بأنواعه، وفصل جليل من فصول القضاء والقدر، وبه تتجلى حقيقة التوكل وماهية التعلق وصدق التعبد، والتداوي لم يتركه الله عزوجل لفهوم الناس أو لتجاربهم التي ينقض بعضها بعضا، ويسفه أصحابها بعضهم بعضا وينكر آخرها عمل أولها، ولذلك تجد التداوي ميدانا مفتوحا وحربا ضروسا بين تجار الصحة وشركات الأدوية يربح فيه كل الأطراف إلا المرضى.

فالتداوي في الشرع أعم منه في غيره، مصدره الأول أو الأصل فيه أنه شرعي، ومن أخطأ هذه الحقيقة والعقيدة لم يخطؤه تجار الصحة ووُكل إلى الأسباب، سواء استدراجا أو عقابا وبلاء، فلا بد فيه من ملاحظة المعنى الشرعي واستحضاره والعمل بمقتضاه لأن الانسان روح قبل أن يكون جسدا، وأيما دواء أرجأ المعنى الشرعي كان داء وبلاء، وجمال التداوي القرن بين الشرعي والكوني القدري، لكن شرطه أن لا يكون القدري الكوني حراما وأن لا يلتفت إليه القلب أو يركن، مع اعتقاد أن الداء والدواء والشفاء من وضع وخلق وجعل وإنزال الله جل في علاه يبتلي بها من يشاء كيف يشاء متى وأين شاء، ومن وفق لهذا أنزل الله له الشفاء ونفعه الدواء، وتأمل قول ابن تيمية رحمه وقد وفق إلى إدراك حقيقة التداوي بمعناه الشرعي الشامل حيث قال (أَنَّ كَثِيرًا مِنْ الْمَرْضَى، أَوْ أَكْثَرَ الْمَرْضَى يُشْفَوْنَ بِلَا تَدَاوٍ، لَا سِيَّمَا فِي أَهْلِ الْوَبَرِ وَالْقُرَى، وَالسَّاكِنِينَ فِي نَوَاحِي الْأَرْضِ يَشْفِيهِمْ اللَّهُ بِمَا خَلَقَ فِيهِمْ مِنْ الْقُوَى الْمَطْبُوعَةِ فِي أَبْدَانِهِمْ، الرَّافِعَةِ لِلْمَرَضِ، وَفِيمَا يُيَسِّرُهُ لَهُمْ مِنْ نَوْعِ حَرَكَةٍ وَعَمَلٍ أَوْ دَعْوَةٍ مُسْتَجَابَةٍ أَوْ رُقْيَةٍ نَافِعَةٍ، أَوْ قُوَّةٍ لِلْقَلْبِ، وَحُسْنِ التَّوَكُّلِ، إلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَسْبَابِ الْكَثِيرَةِ غَيْرِ الدَّوَاءِ) (تقدم ذكر مصدره) فذكر

رحمه أسبابا للتداوي ونفى أن تكون دواءً على اعتبار المعنى العرفي وهو الغالب اليوم ويشمل استعمال العقار والاقراص والخلطات والحبوب ونحوها، وإلا فإن الشرع سمى هذه الأسباب دواء، فالقرآن والعسل والحجامة والرقية والدعاء والصدقة والقسط البحري والتلبية وغيرها كثير ولله الحمد كلها أدوية، وينبغي الاشارة في هذا المقام أن هذه الاسباب لا تتخذ منفردة بل مجموعة ابتلاءً، فيُخفي الله سبحانه السبب الذي جعل الله فيه أو معه التأثير حتى لا يتعلق قلب العبد به، فإن أصل ضلال الناس تعلقهم بغير الله وأصل مادة الشر التعلق بالأسباب، ولذلك سبق قول الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله (..لأن زواله قد يكون بدواء شرعي وطبيعي وعادي ولكن صادف زواله تعاطي هذا الدواء الذي هو في الحقيقة داء فنسب إليه. وقد يكون زواله لا من أجل كونه دواء ولكن من باب الابتلاء والامتحان.) وهذا مثل قول ابن تيمية (بلا تداو) وهو نفس قول أصحاب الطب الشمولي أن المرض هو فرصة الجسد لاستفراغ سمومه وإعادة توازنه الذي خلقه الله عليه بلا تدخل من الانسان والاسباب . ويشهد لهذا المعنى حديث السبعون ألفا (يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون.) (أخرجه الشيخان)، وفيه أنهم تركوا أسبابا شرعية وهي الكي والرقية فكمل الله توكلهم وأثابهم عليه، وفي الحديث إشارة إلى أن عددا كبيرا من الموحدين —(سبعون ألفا أو معَ كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا وثلاثُ حثياتٍ من حَثياتِ ربِّي عزَّ وجلَّ) (صحيح ابن ماجه ٣٤٧٨)– تركوا التداوي بهذه المذكورات فكان مقامهم كما تعلمون.

وإن نقص للعبد من الدنيا فقد أقيم مقام أهل البلاء، الأمثل فالأمثل بالأنبياء، ولولا الامتحان لكثر الصادقون وكذلك التوكل على الله في ترك الدواء لا يجلب العوافي ولا يعجلها، ولا ينقص من الأمراض ولا يذهبها، بل هو إلى الازدياد منها أقرب للتمحيص والابتلاء، ومنه قوله عزّ وجلّ: (وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ) (آل عمران – الآية ١٤١).

(فصل)

وخير ما أختم به :كلام قيم لابن القيم رحمه الله في خاتمة كتابه مدارج السالكين قال فيه :
(فَيَا أَيُّهَا الْقَارِئُ لَهُ لَكَ غُنْمُهُ وَعَلَى مُؤَلِّفِهِ غُرْمُهُ، لَكَ ثَمَرَتُهُ وَعَلَيْهِ تَبِعَتُهُ، فَمَا وَجَدْتَ فِيهِ مِنْ صَوَابٍ وَحَقٍّ فَاقْبَلْهُ وَلَا تَلْتَفِتْ إِلَى قَائِلِهِ، بَلِ انْظُرْ إِلَى مَا قَالَ لَا إِلَى مَنْ قَالَ، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَرُدُّ الْحَقَّ إِذَا جَاءَ بِهِ مَنْ يُبْغِضُهُ، وَيَقْبَلُهُ إِذَا قَالَهُ مَنْ يُحِبُّهُ، فَهَذَا خُلُقُ الْأُمَّةِ الْغَضَبِيَّةِ، قَالَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ: اقْبَلِ الْحَقَّ مِمَّنْ قَالَهُ وَإِنْ كَانَ بَغِيضًا، وَرُدَّ الْبَاطِلَ عَلَى مَنْ قَالَهُ وَإِنْ كَانَ حَبِيبًا، وَمَا وَجَدْتَ فِيهِ مِنْ خَطَأٍ فَإِنَّ قَائِلَهُ لَمْ يَأْلُ جُهْدَ الْإِصَابَةِ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتَفَرَّدَ بِالْكَمَالِ كَمَا قِيلَ:

وَالنَّقْصُ فِي أَصْلِ الطَّبِيعَةِ كَامِنٌ ... فَبَنُو الطَّبِيعَةِ نَقْصُهُمْ لَا يُجْحَدُ

وَكَيْفَ يُعْصَمُ مِنَ الْخَطَأِ مَنْ خُلِقَ ظَلُومًا جَهُولًا، وَلَكِنْ مَنْ عُدَّتْ غَلَطَاتُهُ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ مِمَّنْ عُدَّتْ إِصَابَاتُهُ.

وَعَلَى الْمُتَكَلِّمِ فِي هَذَا الْبَابِ وَغَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ كَلَامِهِ عَنِ الْعِلْمِ بِالْحَقِّ، وَغَايَتُهُ النَّصِيحَةَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِخْوَانِهِ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنْ جَعَلَ الْحَقَّ تَبَعًا لِلْهَوَى فَسَدَ الْقَلْبُ وَالْعَمَلُ وَالْحَالُ وَالطَّرِيقُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [المؤمنون: ٧١] وَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ» فَالْعِلْمُ وَالْعَدْلُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَالظُّلْمُ وَالْجَهْلُ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَ الطَّوَائِفِ وَلَا يَتَّبِعَ هَوَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى: {فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ

وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [الشورى: ١٥]) .

الفهرس

مقدمة	٢
التداوي وشمولية الدين	٣
التداوي عند التنازع فيه	٥
تعريف التداوي	٧
التداوي في الطب الكلاسيكي	٩
التداوي في الطب الشمولي	١١
التداوي وعلاقته بالتوكل	١٤
التداوي وعلاقته بالقضاء والقدر	١٧
التداوي وعلاقته بتوحيد الألوهية	٢٠
حقيقة التداوي في الشرع	٢٢
خلاصة	٣٠
خاتمة	٣٢